

الحقبة، وإذا كانت الهوية القطرية هي الاعز على النفس... وإذا كانت رغبة ممثلي الشعب الفلسطيني تقوم على الانفصال في هذه الآونة عن الاردن، فاننا نبارك رغبتهم ونحترمها». وأعلن الملك، بوضوح، ان حساسيات «ظهرت بيننا وبين اخوتنا في منظمة التحرير... وغدا التعامل بيننا كما لو كنا متنافسين لا متعاونين، واساءوا فهمنا في التمسك بقرار مجلس الامن ٢٤٢». وفي مقطع له دلالة، تساءل الملك: «قد يقول قائل: ما لكم ولهذا؟ فلماذا تتعاملون مع المبادرات؟ ولماذا تستقبلون الوفود؟ ولماذا تجرون الحوارات؟ ولماذا ترسمون خطط التنمية للارض المحتلة؟ ولماذا تحافظون على الاشكال الدستورية التي تعكس وحدة الضفتين؟ ولماذا تقفون على قانونية مؤسساتكم في الضفة الغربية؟... وفي الحقيقة اننا نسمع مثل هذا في بلدنا، كما نسمعه من بعض الاخوة العرب».

لقد بدا واضحاً ان الملك لم يكن يسعى الى طرح اسئلة حول خيارات؛ ولم يكن، كذلك، يسعى الى فرض طريق، او نهج، في اللعب على الطرف الفلسطيني، في محاولة تحجيم تقدمه وانتصاره، انما ليطالبه بارساء خطوط سياسية متكاملة، يمكن على اساسها ان يتصرف الاردن كدولة. ورداً، بصورة ضمنية، على الورقة الفلسطينية، التي طرحت التخوف من ان يؤدي حسم أي خيار معه على أساس الكونفدرالية او غيرها من أشكال التكامل والتلازم، الى التقليل، لاحقاً، من حجم المكتسبات التي يمكن للمنظمة ان تنتزع فيها اعترافاً بحقوق الشعب الفلسطيني المشروعة.

ولا شيء يؤطر الصورة بشكلها الصحيح، هنا، سوى خوف الاردن من انعكاس تطور الايديولوجيا السياسية وواقعها الاستيطاني لاسرائيل. وتبدو هذه القضية مجرد مشكلة عابرة تجاه الاحتمالات الاخرى التي تتوقعها المصادر الاردنية، أخذاً في الحسبان تزايد النزعة العسكرية لدى اسرائيل، وتزايد عدد الداعين الى طرد الفلسطينيين الى الضفة الشرقية من نهر الاردن.

في المقابل، كان هناك، على الدوام، «وجع رأس» اردني، مصدره البنية الديمغرافية لشرق الاردن نفسه الذي اصبح نصف سكانه منذ العام ١٩٦٧، وأكثر من ٦٠ بالمئة من سكان عاصمته على الاقل، من الفلسطينيين. وتسهم هذه البنية في مشكلة صوغ احساس بالهوية: هل كان الفلسطينيون لاجئين مرتبطين بفلسطين ويعيشون في الاردن فحسب؟ أم انهم فلسطينيون ولاؤهم الاول للأسرة الهاشمية؟ انهم يحملون جواز سفر اردنياً ويستطيعون العيش والعمل حيث يريدون؛ ولكن هل يشعر هؤلاء بانتماثهم لـ «وطنهم» الجديد؟ بل، ما هودورهم في نظام سياسي لبلد وفد أطرافه الى العاصمة تبعاً: الحكم من الحجاز، واليد العسكرية من العشائر الشرق - اردنية، لا سيما الجنوبية، ومن الشركس؟

قد يكون افضل الظروف، من وجهة نظر العرش، ذلك الذي يتكون، في آن، من نزع فتيل جاذبية الحركة الوطنية الفلسطينية، ومن خلال نمو هوية شرق - اردنية متميزة لمواجهتها. وهكذا، فان الملك حسين صاحب الخبرة الطويلة في تعقيدات الموضوع الفلسطيني، وصاحب التجربة الغنية في قراءة المتغيرات الاقليمية والدولية، ادرك حصول الفراق على أرض الضفة الغربية، واستوعب ابعاد الانتفاضة، وما يمكن ان يترتب سواء على نجاحها او فشلها، فاختر اخراج يديه من التعاطي المباشر في هذا الملف المغموم، مفضلاً الانتظار في الضفة الشرقية وترتيب البيت الداخلي، استعداداً لمواجهة مختلف الاحتمالات.

الخيار الاردني؛ ما هي حدود حيويته؟

بأي منطلق شاء المراقبون السياسيون ان يحاكموا القرار الاردني وانعكاسه على الواقع